الباب الأول

غزوة الأحزاب " الخندق "

الباب الأول

غزوة الأحزاب " الخندق "

عاد السلام والأمن وهدأت الجزيرة العربية بعد الحروب والبعثات التي استغرقت أكثر من سنة كاملة إلا أن اليهود الذين كانوا قد ذاقوا ألوانًا من الذلة والهوان نتيجة غدرهم وخيانتهم ومؤامراتهم ودسائسهم ، لم يفيقوا من غيهم ولم يستكينوا ولم يتعظوا بما أصابهم نتيجة الغدر والتآمر ، فبعد نفيهم إلى خيبر ظلوا ينتظرون ما يحل بالمسلمين نتيجة المناوشات التي كانت قائمة بين المسلمين والوثنيين ولما تحول مجرى الأيام لصالح المسلمين وأخذوا يبسطون نفوذهم وسلطانهم على المدينة تحرق هؤلاء اليهود أي تحرق .

وشرعوا في التآمر من جديد على المسلمين وأخذوا يعدون العدة لتهيئة ضربة على المسلمين تكون قاتلة لا حياة بعدها .

ولما لم يكونوا يجدون في أنفسهم جرأة على مناوءة المسلمين مباشرة خططوا لهذا الغرض خطة رهيبة .

فتعالوا لنرى ماذا حدث من اليهود ..

الفصل الأول

المشهـــد الأول

" اليهود تؤلب قبائل العرب على الإسلام "

لم يقر لعظماء بني النضير قرار بعد جلائهم عن ديارهم وإرث المسلمين ، لها بل كان في نفوسهم دائمًا أن يأخذوا ثأرهم ويستردوا بلادهم فذهب جمع منهم وعلى رأسهم سلام بن أبي الحقيق النضري وحيي بن أخطب النضري وكنانة ابن الربيع ابن أبي الحُقيق النضري ، وهوذة بن قيس الوائلي ، وأبو عمار الوائلي في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل.

خرجوا إلى قريش بمكة يحرضونهم على غزو الرسول ﷺ وفي دار الندوة دارت المفاوضات ودعا أشراف بني النضير سادات قريش إلى حرب رسول الله ﷺ .

أبو سفيان بن حرب :

مرحبًا بكم يا معشر يهود ، لقد حللتم بأرضكم ونحن رهن إشارتكم ماذا تريدون منا ؟

سلام بن أبي الحقيق :

أنتم تعلمون يا معشر قريش أن محمدًا قد أخرجنا من بلادنا ومن ديارنا لأننا أردنا أن نخلصكم منه ونقضي عليه .

حيي بن أخطب :

ونستريح نحن وأنتم من شره وشر أتباعه .

عكرمة بن أبي جهل :

نحن نستطيع أن نقضي على محمد وأصحابه وهذا سوف يكون عاجلاً أم آجلاً .

كنانـــة بـن أبـــي الربيـع :

وهذا ما جئنا إليكم من أجله وإنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله .

أبـو سفيـان بـن حـرب :

يـا معشـر يهـوذا إنكـم أهـل الكتـاب الأول والعلـم بمـا أصـبحنا نختلـف فيـه نحـن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟

سـلام بـن أبـي الحُقيق : " وهو ينظر إلى الأصنام "

بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه .

أبـو سفيـان بـن حـرب :" وهو يبتـسم "

مرحبًا بكم يـا معشـر يهـود حقًّـا دينـنـا ومـا نحـن عليـه هـو الحـق أمّـا دين محمـد الذي أتى به فهو باطل .

حكيـم بـن حزام " مشرك مـن قريـش "

نعـم لابـد مـن القضـاء علـى هـذا الـدين فـإن كـان محمـد قـد فـر مـن مكـة دون الانتقام منه فقد حانت الفرصة للنيل منه والقضاء عليه .

حيـــي بـن اخطـب :

ولكن نريد أن نتعاهد على ذلك حتى لا يتخلف منا ولا منكم أحد .

صفـوان بـن أميـة " مشرك مـن قريـش "

أمـــا يكفـيكم يـــا معشـــر يهـــود أن نضـــع أيـــدينا في أيـــديكم في دار النـــدوة ؟ أليس ذلك عهد ؟

أبـو سفيان بن حـرب :

ومـع ذلـك فسـوف يخـرج الآن مـن قـريش خمسـون رجـلاً ويتحـالفون معكـم ويلصقون أكبادهم بالكعبة معلقين أشعارهم عليها .

كنانــة بــن أبــي الربيــع :

نعم ، فهذا خير دليل على أن لا يخذل بعضنا بعضًا ونكون جميعًا يدًا واحدة على محمد وأصحابه .

أبــو سفيان بــن حــرب :

وبعد أن تعاهدنا لابد من كتابة ذلك ويكون اللواء مع عثمان بن طلحة فهو أشدنا غيظًا وكرهًا على محمد ، فأبوه طلحة قتل يوم أحد ، وكذا عماه عثمان بن أبي طلحة وأبو سعيد بن أبي طلحة وإخوته الأربعة وهم مسامح بن طلحة والحرث بن طلحة وكلاب بن طلحة والجلاس بن طلحة .

عثمان بــن طلحة بــن أبــي طلحة العبدري :

واللات والعزى إني لأحترق شوقًا للقاء المسلمين والثأر منهم لأهلي وكم أتمنى أن أقتل علي بن أبي طالب الذي أذاق الأعزة المنون " الموت " .

كنانــة بــن أبــي الحقيــق :

أما ونحن قد تعاهدنا وكتبنا الوثيقة وعقدنا اللواء نترككم لكي تتجهزوا للحرب والخروج إلى يثرب ، ونذهب إلى بني غطفان لنحضهم على قتال محمد والقضاء عليه .

أبــو سفيان بــن حرب :

يا زعماء اليهود نحن سوف نخرج من هنا ومعنا كنانة وحلفاؤنا من أهل تهامة وسوف يكون قوامنا أربعة آلاف رجل ولن يتخلف منا أحد ، المهم عليكم بباقي القبائل .

حيــي بــن أخطــب :

ولكن هل نستطيع إقناع غطفان وهم قبائل شتى كما نعلم فزارة ومرة وأشجع وغيرهم .

صفـــوان بـــن أميـــة :

من الممكن أن يوافقوكم على ذلك ، وأيضًا قد يمتنعون عن الخروج معنا .

عكـــرمة بـــن أبي جهـــل :

إن عيينـة بـن حصـن كـبير بـني فـزارة قـد يسـاومكم علـى الخـروج معكـم علـى أن تعطوا له أموالاً مقابل ذلك .

ســـلام بـــن أبـــي الحقيـق :

نعـم سـوف نعطـيهم مهمـا كلفنـا الأمـر بشـرط أن نعـود إلى ديارنـا وحصـوننا التي طردنا منها في يثرب .

حيـــي بـــن أخطـــب :

وماذا نعطيهم يا سلام ؟

أبـــو سفيان بـــن حـــرب :

لا تظنـوا أننـا قـد خرجنـا معكـم بـدون أي مقابـل مـن أجلكـم ولكننـا كنـا ننـوي الخروج معكم قبل مجيئكم إلينا من أجل الانتقام .

ســـلام بـــن أبـــي الحقيـق :

سوف نعطي لغطفان نصف تمر خيبر.

عثمـــان بـــن طلحـــة :

ولا تنسى أن نذكر لهم أننا قد تحالفنا معكم نحن وحلفاؤنا .

أبـــو سفيان بـــن حـــرب :

ولا بد أن تذكرهم أن يكتبوا إلى حلفائهم من بني أسد وزعيمهم

طليحه بين أمية " مشرك " :

واللاتي والعزى يا أمية أن عيينة بن حصن سوف يوافق على ذلك أنسيتم أن محمداً قد جازه وقطعه أرضاً يرعى فيها سوائمه " مواشيه " فقد سمن خفه وحافره ولم يعد ينتظر شيئًا .

أبو سفيان بن حرب :

أراهن على ذلك فإنه سوف يخرج عندما تعرضون عليه نصف تمر خيبر فإنه لن يتواني في ذلك وسوف يرسل لجميع حلفائه بني مرة ورئيسهم الحارث بن عوف المريَ وهم أربعمائة رجل وبني أشجع ورئيسهم أبى مسعود بن رُخيله وبني سليم ورئيسهم سفيان بن عبد شمس وهم سبعمائة إنه سوف يجمع على الأقل عشرة آلاف محارب ونحن معه .

حيي بن أخطب :

هيا بنا يا معشر اليهود إلى باقي قبائل العرب نترك قريشا تستعد على أن نلتقي بيثرب.

المشهد الثاني

عِلم رسول الله ﷺ بخبر الأحزاب وحفر الخندق

خرجت الأحزاب عشرة آلاف مقاتل وبدأ الزحف إلى المدينة وما من أحد من الخارجين يشك في أنها جولة واحدة ثم يصبح الإسلام والمسلمون كأمس الدابر، لن يصمدوا لصناديد قريش وفرسان العرب المتعطشين للدماء.

كانت قبيلة خزاعة تميل إلى رسول لله ﷺ وكان مسلمهم وكافرهم يحبه ﷺ فلما تهيأت قريش للخروج انطلق ركب من خزاعة قاصدًا المدينة .. حتى وصلوا إلى الرسول ﷺ وأخبروه خبر سادات بني النضير ووعدهم قريشًا وقبائل العرب لحرب رسول الله ﷺ وخروج أبي سفيان لاستئصال الإسلام والمسلمين.

لمَّا سمع رسول الله ﷺ دعا الناس وأخبرهم خبر عدوهم وقال لهم هل نخرج من المدينة فيدخل العدو فيها ثم نهجم عليهم أم نبقى فيها.

أبو بكر الصديق :

يا رسول الله إننا قد أشرنا عليك من قبل بالخروج يوم أحد وحدث ما حدث.

عمر بن الخطاب :

هذا هو قدر الله وقضاء الله ولكن لا بد أن نفكر فيما نحن فيه.

سعد بن معاذ :

يا رسول الله أما لو استخرت الله في ذلك وأخبرك بما نحن فاعلون.

معـــاذ بـــن جبـــل :

يـــا رســـول الله نحـــن علـــى ثقـــة بـــأن الله عـــز وجـــل لـــن يخـــذلنا ولا بـــد أن ينصـــرنا على المعتدين فعلى الباغي تدور الدوائر.

على بـــن أبـــي طالـــب :

يـــا رســـول الله بـــل نبقـــي في المدينـــة المنـــورة ونقاتلـــهم هنـــا فلـــدينا خمســـون فرســـًا وقد كان عندنا يوم أحد فرسان فقط .

أبـــو بكـــر الصديـــق :

لقـــد أتـــت الأخبـــار بـــأنهم عشـــرة ألاف مقاتـــل ومعهـــم ثلثمائـــة فـــرس وكـــل مـــن بالمدينة من رجال وشيوخ ونساء وأطفال لم يبلغ هذا العدد .

سعـــد بـــن معـــاذ :

إن الخـــروج مـــن المدينـــة للقـــاء هـــذه القـــوة الهائلـــة مـــن البشـــر فيـــه مخـــاطرة لا تحمد مغبتها .

عمـــر بـــن الخطـــاب :

إذن لا بـــد أن نمكـــث في المدينـــة ، ولا بـــد لنـــا مـــن تقويـــة أنفسنـــا للقـــاء هـــذا العـــدو ، والدفاع عن المدينة .

معـــاذ بـــن جبـــل :

هـــذا لـــيس أمـــرًا ســـهلاً ، فـــدور المدينـــة ملتصـــقة بعضـــها بـــبعض إلى مســـافة طويلـــة فهي سور منيع والحدود الشمالية يحرسها حائط وبعده جرف منحدر.

أبــو ذر الغفــاري :

وهنــاك بنــو قريظــة آخــر قبيلــة يهوديــة باقيــة في المدينــة تحــرس مــؤخرة المدينــة فهــم ينزلــون في حصــن منيــع ينبغــي أن يــدك قبــل أن يستطيع عــدو اجتيــاز. ولا نــدري أيبقون على العهد معنا أم سيفعلون كما فعل يهود بني قينقاع وبني النضير.

أبــو بكــر الصديــق :

المعضــلة المباشــرة عنــدنا هــي جنــوب المدينــة المكشــوف والجنــوب الشــرقي وهــو الجانب الذي تنطلق فيه الطرق إلى حدائق المدينة .

عمــر بــن الخطــاب :

وهذا أمر سهل أن يخترق العدو هذا الجزء ، وإذا حدث ذلك انهارت المدينة كلها .

معــاذ بــن جبــل :

إذن لابــد لنــا مــن حيلــة نفعلــها لنوقــف زحــف عشــرة آلاف مقاتــل مجهــزين أحسن تجهيز.

سلمــان الفارســي :

يا رسول الله لقد وجدتها لدي فكرة رائعة مذهلة .

عمــر بــن الخطــاب :

ماذا يا سلمان لقد تركتنا نفكر وصعدت فوق الجبل ثم نزلت مسرعاً .

سلمــان الفارســي :

يــا رسـول الله إنــا كنــا في بــلاد فــارس إذا غزنــا عــدو تخنــدقنا أي حفرنــا خنــدقًا فلا يستطيع العدو الدخول إلينا ولا يستطيع محاربتنا .

عمـــر بـــن الخطـــاب :

نعـم يـا رسـول الله إنهـا فكـرة رائعـة لابـد لنـا مـن حفـر خنـدق مـن الناحيـة الجنوبية بطول المدينة فنصل هذا الخندق بالجبلين .

أبـــو بكـــر الصديـــق :

ولكـن لابـد مـن معاينـة المكـان أولاً ورسـم خطـة محكمـة مدروسـة حتـى لا نتعـب أنفسنا في الحفر دون فائدة .

علـــي بـــن أبـــي طالـــب :

والله إنها لفكرة مذهلة فإذا تخندقنا لا يستطيع عدو أن يصل إلينا .

رســـول الله ﷺ :

نعـم إنهـا فكـرة جيـدة وليحفـر كـل عشـرة مـن الرجـال أربعـين ذراعـاً مـن الأرض وأنا احفر معكم .

علـــي بـــن أبـــي طالـــب :

ولكننا نكفيك مؤنة العمل يا رسول الله .

رســـول الله ﷺ :

إنها أثرة " أي أنانية " ولا أحب الأثرة " أي لا أحب أن أكون أنانيًّا".

أبـــو بكـــر الصديـــق :

هيا بنا يا قوم إلى حفر الخندق وليعمل كل واحد منا في جد ونشاط واجتهاد .

سلمـــان الفارســـي :

يـا رسـول الله لقـد وجـدت في الأرض وأنـا أحفـر صـخرة عظيمـة لا أسـتطيع كسرها .

رسـول الله ﷺ : " وأمسك بالمعـول "

باسـم الله وضـرب الصـخرة فأضـاءت أي خـرج منهـا ضـوء . الله أكـبر لقـد أعطيـت مفـاتيح فـارس . ثـم ضـرب الثانيـة فخـرج منهـا ضـوء وقـال الله أكـبر لقـد أعطيـت مفـاتيح سـورية ثـم ضـرب الثالثـة قـائلاً باسـم الله فخـرج منهـا ضـوء وقـال الله أكبر لقد أعطيت مفاتيح اليمن .

سلمـان الفارسـي :

أبشروا يا قوم بفتح قريب من الله عز وجل

أنـس بـن مـالك :

أتحمل الترَب معنا يا رسول الله والله ما أرى صدرك ولا بطنك من كثرة الترَب .

رسـول الله ﷺ :

اللـهم إن العـيش عـيش الآخـرة فـاغفر للأنصـار والمهـاجرة

أنس بـن مـالك :

نحـن الـذين بـايعوا محمـدًا على الجهـاد مـا بقينـا أبـدًا

رسـول الله ﷺ :

اللـهم لـولا أنـت مـا اهتـدينا ولا تصـدقنا ولا صـلينا

فـأنزلن سـكينة علينـا وثبـت الأقـدام إن لاقينـا

إن الألـي قـد بغـوا علينـا وإن أرادوا فتنـة أبينـا

المشهد الثالث

المنافقون في المدينة

كان المنافقون في المدينة يترقبون الموقف في لهفة وشغف وتمنوا لو يخرج محمد من المدينة .. وكان على رأس هؤلاء عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين في المدينة يرقب فرصته ليسدد إلى قلب الإسلام ضربة قاضية . فجلس يفكر ويرقب الموقف هو وجماعة المنافقين عبد الله بن نبتل ورفاعة بن زيد ورافعة ابن تابوت وأوس بن قيظي ونبتل بن الحرث .

عبد الله بن أبي بن سلول :

آه لو خرج محمد لحرب الأحزاب الذين تعاهدوا على استئصاله واستئصال المسلمين ماذا نحن فاعلون أيها القوم ؟

عبد الله بن نبتل :

أترى يا بن سلول أننا سوف نقف لنشاهد المعركة دون أن نطعن المسلمين من الخلف ؟

عبد الله بن سلول :

وماذا نفعل إذن يا بن نبتل ؟

عبد الله بن نبتل :

أترى أن يهود بني قريظة الذين بقوا في المدينة والذين عاهدوا محمدًا على أن يشتركوا معه في الدفاع عن المدينة أيوفون بعهدهم ويقومون بإخلاص في الدفاع عن المدينة حتى لو ساءت الأمور ؟ إن فعلوا ذلك فنحن لا نتركهم يوفون بهذا العهد .

أوس بن قيظي :

لم يعد هناك يهود كما كانوا فيهود بني قينقاع وكبيرهم شاس بن قيس ويهود بني النضير وكبيرهم مالك بن الصيف وحيي بن أخطب وغيرهم كانوا يستمعون لنا وينفذون ما نقول لهم .

رفاعة بن زيد :

وَلِمَ لا وكعب بن أسد القرظي كبير بني قريظة على صلة دائمة بابن سلول وأوس بن قيظي ونبتل وهم على دراية بما يفعل ؟ وفي استطاعتهم أن يحولوا عن عهده مع محمد .

نبتل بن الحرث :

كيف وقد شارك بنو قريظة في حفر الخندق وأخذ منهم المسلمون في الحفر آلات كثيرة تعينهم على الحفر.

عبد الله بن سلول :

يا قوم ، دعوني أنا أتصرف مع كعب بن أسد القرظي وسوف أجعله يحيد عن عهده .

عبد الله بن نبتل :

لقد سمعت أن حُيي بن أخطب وعد قريشًا والأحزاب أن يهود بني قريظة سوف تنقض هذا العهد لا محالة .

أوس بن قيظي :

وهل سنجلس وننتظر حيي بن أخطب كي يتحدث معهم ؟ لابد وأن نرسل إليهم وإذا لم يسمعوا لنا فلنرسل إلى حيي بن أخطب يتكلم معهم .

عبد الله بن أبي بن سلول :

نحن لابد أن نقسم أنفسنا إلى فريقين : فريق يختص باليهود وفريق يختص بالمسلمين ولابد أن نقلل من شأنهم في نظر أنفسهم كأن نقول لهم بأنكم أنتم ومحمد إلا أكلة رأس أبي" أي أنتم قليل يشبعكم رأس واحد ".

نبتل بن الحرث :- ضاحكاً

ووالله لو كانوا لحماً لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه .. فلابد أن يتركوا هذا الرجل محمدًا يهلك وحده .

أوس بن قيظي :

اتركوني أنا ، سوف أتحدث مع المسلمين وأستطيع أن أردهم عن دينهم.

نبتل بن الحرث : وماذا تقول لهم يا أوس ؟

أوس بن قيظي :

سوف أذكرهم بيوم أحد وأخوفهم بأبي سفيان ومن معه ، فماذا ترجون من محمد ؟ فوالله ما يعيننا بخير وما عنده خير ، فما هو إلا أن يقتلنا ههنا ..

معتب بن قشير :

ولابد أن نقنعهم أن ما رآه محمد وقاله عند حفر الخندق هو كذب واختلاق.

عبد الله بن نبتل :

وماذا تقول يا بن سلول في هذا الأمر إنهم يصدقون محمدًا في كل ما يقول .

ابن سلول :

نجلس معهم ونتهكم بهذا الكلام ونقول لهم إنها أماني المغرورين وإن محمدًا يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى ومفاتيح سورية والشام وكذلك اليمن . وأنتم تحفرون الخندق لا تستطيعون أن تخرجوا منه .

عبد الله بن نبتل :

تريد أن نقول لهم :" ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورًا "

ابن سلول :

نعم لابد وأن نغرس في نفوسهم هذا الأمر ، فإذا ما فعلنا ذلك حولناهم عن محمد وهلك هو ومن تمسك به .

رافعة بن تابوت :

يا بن سلول لا تظن أن يوم أحد سوف يعود مرة ثانية يوم أن رجعنا بثلث الجيش وانهزم محمد ومن معه فإن المسلمين قد ندموا على ذلك ومن جاء معنا قد تاب إلى الله وطلب من الرسول أن يستغفر له .

ابن سلول :

لا يأس يا رافعة ، فلا تنس أن محمدًا قد سفه أحلامنا وأمانينا فالحرب بيننا وبينه لا تنتهي أبدًا .

نبتل بن الحرث :

اتركوني أنا أذهب إلى اليهود وإلى كعب بن أسد القرظي ؛ لعلي أرده عن عهده مع محمد .

ابن سلول :

وماذا أنت فاعل معه يا نبتل ؟ إن كعب بن أسد القرظي عنيد وطالما حاولنا معه .

نبتل بن الحرث :

دعني يا بن سلول لسوف أحذره وأقول له : ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان ومن معه ؟ فإنهم إن قدروا عليكم لم يستبقوا منكم أحدًا. وإن المسلمين لم يستطيعوا أن يفعلوا لكم شيئاً أنسيتم هزيمتهم يوم أحد ؟ وما أحد عنكم ببعيد .

عبـــد الله بـــن سلـــول :

ذكرهم يا نبتل بأنهم إخوانَنا وجيرانَنا ونحن نخاف عليهم .

رافعـــة بـــن تابـــوت :

وذكـرهم أيضًـا بمـا فعلـه محمـد مـع بـني قينقـاع وبـني النضـير إنـه إذا انتصـر علـى الأحزاب فلسوف يخرجهم من المدينة وإذا انهزم فلن تتركهم قريش فتعالوا معنا .

ابـــن سلـــول :

هيا بنا يا قوم إلى بغيتكم .

المشهـــد الرابـــع

أحداث عند الخندق

استخلف ﷺ على المدينة عبد الله بن أم مكتوم وخرج رسول الله ﷺ بالمسلمين حتى عسكر بهم إلى سفح سلع وهو جبل بسوق المدينة وجعل الجبل خلف ظهره . وأرسل ﷺ سُليطاً وسفيان بن عوف طليعة للأحزاب فلما رأيا جيشًا يكسو وجه الصحراء يتحرك في بطءٍ شديد من كثرة عدده وثقل ما يرتدي رجاله من درع إنه لجيش لا قبل للمسلمين به ، ووقف الرجلان مشدوهين حتى وقعا في الأمر فقتلهما أبو سفيان بن حرب وقد استبشر خيرًا ..

وأعطي ﷺ لواء المهاجرين لزيد بن حارثة ولواء الأنصار لسعد بن عبادة ...

وأقبلت قريش ومن معها تحدوهم الآمال العريضة فلما رأوا الخندق اصفرت وجوههم وانقبضت أفئدتهم وانهارت قصور الأماني التي بنوها في الهواء ودار هذا الحديث .

أبو سفيان بن حرب :

والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها . ما هذا يا حيي بن أخطب الذي أتيت بنا إليه؟

حيي بن أخطب :" وهو ترتعد فرائصه "

أتذهب كل الجهود التي بذلناها هباء ؟

أبو سفيان :

يا حيي بن أخطب ، أسرع إلى إخوانك من بني قريظة حتى ينقضوا العهد مع محمد وندخل من ناحيتهم .

عكرمة بن أبي جهل :

وهل سننتظر حتى يَنقض بنو قريظة العهد مع محمد واللات والعزى إن هذه لكيدة ما كانت العرب تكيده أبدًا ولابد لنا من التفكير في طريقة لعبور الخندق .

نوفل بن عبد الله بن المغيرة :

واللات والعزى لابد أن أعبر هذا الخندق بفرسي هذا .

أبو سفيان :

لا تفعل يا نوفل ؛ لأنك ستقع فيه .

نوفل بن عبد الله بن المغيرة :

وقد وقع في الخندق والمسلمون يرمونه بالحجارة فجعل يقول :

قتلة أحسن من هذه يا معشر العرب .

علي بن أبي طالب : " ينزل إليه في الخندق "

ماذا تريد يا نوفل قتلة غير هذه ؟ فهذا هو السيف ولابد أن أقسمك نصفين .

أبو سفيان :

أرسلوا إلى محمد أن يبعث لنا بجسده ونعطيه اثنى عشر ألفًا .

علي بن أبي طالب :

يقول رسول الله ﷺ . لا خير في جثته ولا في ثمنه ادفعوه إليهم فإنه خبيث الجسد خبيث الدية .

عمرو بن عبدود :

انجلس يا رؤساء الأحزاب ونترك محمدًا وأصحابه أمامنا وما بيننا وبينهم إلا عدة أمتار وما جئنا إلا للقضاء عليهم .

عكـرمة بـن أبـي جهل :

هيا بنا يا عمرو كي نعبر الخندق وهيا يا ضرار بن الخطاب فما هي إلا ضربات متتابعات ثم يُمْسي الإسلام والمسلمون ذكرى يجر عليها الزمن أذيال النسيان .

عمـــرو بـــن عبـــدود :

وكـان قـد أصـيب في بـدر وهـرب ولم يشـترك في أحـد وجـاء مـع الأحـزاب ليمحـو عـار فـراره وليعلن للملأ أنـه لا يـزال الفـارس الـذي لا يشـق لـه غبـار وقـد عبـر الخنـدق ونـادى :

من يبارز.

علـــي بـن أبـــي طالـب :

أنا له يا نبي الله .

رســول الله ﷺ يقــول لــه إشفــاقاً :

اجلس إنه عمرو بن عَبْدوُدّ .

عمـــرو بـــن عبـــدود : كـــرر النـــداء .

مـن يبـارز؟ أيهـا المسـلمون ، أيـن جنـتكم الـتي تزعمـون أنـه مـن قتـل مـنكم دخلها ؟ أفلا يبرز لي رجل وأنشد :

ولقد بَحَحْتُ من النـدا ... ويجمعكم هل من يبارز؟

إن الشجاعة في الفتى ... والجـود خيـر للغرائز

علـي بـن أبـي طالـب كـرم الله وجهـه :

أنا له يا رسول الله .

رسـول الله ﷺ يقـول :

إنـه عمـرو .

عمـرو بـن عبـدود : ينـادي ثالثـاً :

مـن يبـارز ؟

علي بـن أبي طالـب كرم الله وجهه :

أنا له يا رسول الله .

رسـول الله يقـول : إنـه عمـرو .

علـي بـن أبي طالـب :

وإن كان عمرًا

رسـول الله ﷺ :

اذهب يا علي ، خذ سيفي ذا الفقار ، والبس درعي وتقدم .

علـي بـن أبـي طالـب :

لا تعجلن فقد أتاك مجيب قولك غير عاجز

ذو نية وبصيرة والصدق منجي كل فائز.

رسول الله ﷺ : " وقد شخص ببصره إلى السماء وقال " :

" إلهـي أخـذت عبيـدة مـني يـوم بـدر ، وحمـزة يـوم أحـد ، وهـذا علـي أخـي وابن عمي فلا تذرني فردًا و أنت خير الوارثين . اللهم أعنه عليه "

علـي بـن أبـي طالب :

يـا عمـرو إنـك كنـت قـد عاهـدت الله لا يـدعوك رجـل مـن قـريش إلى إحـدى خلتين إلا أخذتها منه .

عمـر بـن عبـدود : أجـل .

علي بـن أبـي طالب كرم الله وجهـه :

فأنا أدعوك إلى الله وإلى رسول الله ﷺ وإلى الإسلام .

عمـرو بـن عَبْـدوُدّ :

لا حاجة لي بذلك .

علـي بـن أبـي طالب :

فإني أدعوك للنزال .

عمـرو " يضحك فـي سخرية "

إن هـذه لخصـلة مـا كنـت أظـن أن أحـدًا مـن العـرب يـرعني بهـا ولِـمَ يـا بـن أخـي ؟ فوالله ما أحب أن أقتلك .

علـي بـن أبـي طالب :

ولكني والله أحب أن أقتلك

عمـرو بـن عبدود " وقد أخذته الحمية " :

فتعال يا علي ، لسوف أقتلك رغم أن أباك كان صديقًا لي .

علـي بـن أبـي طالب :

كيـف أقاتلـك وأنـت علـى فرسـك ؟ انـزل معـي : وداربينهمـا قتـال شـديد فقتلـه علي . كرم الله وجهه ورجع علي إلى رسول الله ﷺ .

رسـول الله ﷺ :

كيف وجدت نفسك معه يا علي ؟

علـي بـن أبـي طالـب :

وجدته لو كان أهل المدينة كلهم في جانب وأنا في جانب لقدرت عليهم.

" وحـين قتـل عمـرو وهـرب وفـر كـل مـن عـبر الخنـدق فتـبعهم الـزبير بـن العـوام فحمل على هبيرة بن أبي وهب فقتله وفر الباقون "

الفصل الثاني

الفصل الثاني

كان حي بن أخطب سيد بني النضير يقول لقريش في مسيرة معهم :

إن قومي بني قريظة معكم وهم أهل حلقة " سلاح " وافرة وهم سبعمائة وخمسون مقاتلاً .

فلما رأى الأحزاب الخندق وتيقنوا أن لن ينالوا من محمد ﷺ والذين معه إلا إذا خان يهود بني قريظة العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين وطعنوا نبي الإسلام ومن معه من الخلف وبهذا يقضون على ثورة المدينة قضاء مبرمًا .

فأرسل أبو سفيان حي بن أخطب ليفي بوعده لهم ، فقد صدموا بالخندق ولا حيلة إلا بالخيانة .

المشهـــد الأول

نـقض بـنـي قريظة العهد

خـرج حُيـي بـن أخطـب متسـللاً مـن خلـف المدنيـة حتـى أتـى كعـب بـن أسـد القرظي سـيد بـني قريظـة وولـي عهـدهم الـذى عاهـدهم عليـه رسـول ﷺ فـدق عليـه بـاب حصـنه فـأبي أن يفـتح لـه وألح عليـه في ذلـك وكـان حيـي بـن أخطـب في اليهـود بمنزلـة أبي سفيان في المشركين له حيلة في المكر والدهاء .

فنـزل علـى كعـب بـن أسـد القرظـي سـيد بـني قريظـة وكـان لـه كالشـيطان إذ قال للإنسان اكفر.

وكـان كعـب بـن أسـد عنـد قـدوم الأحـزاب قـد أغلـق أبوابـه ومنـع حصـونه وقـرر أن يوفي بالعهد الذي بينه وبين المسلمين فلا يعين عليهم خصمًا.

حيـي بـن أخطـب : يـدق البـاب علـى كعب .

افتح يا سيد بني قريظة .

كعـب بـن أسـد :- ارجع يا حيي بن أخطب .

حيـي بـن أخطـب :- يدفع الباب بشدة فيفتحه ويصرخ لِمَ لا تفتح لي الباب ؟

كعـب بـن أسد " يغلق الباب في وجهـه " :

واللّه إنـك لرجـل مشـئوم . ويحـك ابعـد عـني فـإني قـد عاهـدت محمـدًا فلسـت بناقض ما بيني وبينه ولم أرده إلا وفاءً وصدقًا

حيـي بـن أخطـب :- ويحك افتح لي أكلمك .

كعـب بـن أسـد :- ما أنا بفاعل .

حيي بن أخطب :

والله ما أغلقت بابك دوني إلا تخوفًا على جشيشتك " الدشيش " أن آكل معك منها . لأنك رجل بخيل .

كعب بن أسد " في غيظ وهو يفتح الباب " :

ويحك يا حيي والله إنك لرجل مشئوم .

حيي بن أخطب :

ويحك يا كعب . جئتك بعز الدهر وبحر طام .

كعب بن أسد :- وما ذاك الذي جئتني به .

حيي بن أخطب :

جئتك بقريش على سادتها وقادتها حتى أنزلتهم بمجتمع " الأسبال " من " دومة " و" بغطفان " على سادتها وقادتها حتى أنزلتهم إلى جانب " أحد " قد عاهدوني وعاقدوني على ألاَّ يبرحوا حتى يستأصلوا محمدًا ومن معه .

كعب بن أسد :

جئتني والله بذل الدهر ، وبجهام قد هراق ماءه ، فهو يرعد ويبرق وليس فيه شيء دعني وما أنا عليه فإني لم أر من محمد إلا وفاءً وصدقًا .

الزبير بن مطا " رجل من قريظة " :

يا معشر اليهود ، إن لم تنصروا محمدًا كما انعقد الميثاق فدعوه وعدوه.

كعب بن أسد :

يا حيي إن ما تقوله جد خطير ، إنه نقض لعهد رجل يزن الأمور بميزان العدل لا يميل مع الهوى بل سبيله الحق

عزال بن ميمون " رجل من قريظة " :

يا حيي بن أخطب ، يا كعب بن أسد ، إن انتصر محمد على الأحزاب فسندفع الثمن كما دفعه إخواننا يهود بني قينقاع ، وأنتم يا بني النضير .

كعب بن أسد :

والله إنه سيكون أشد مما دفعوه إنها خيانة تهدد أمن الوطن وتعرض محمدًا وأصحابه للقتل والدمار.

حيي بن أخطب :

يا كعب إنها خطة محكمة سوف تقضي على محمد ذاك الرجل الذي اعترف بالمسيح وبالحمل الطاهر فسفه بذلك أحلام آبائنا الذين أبوا أن يقروا أن عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول.

كعب بن أسد :

والله يا حيي إن في عرضك شيئًا جذابا ولكنه محفوفٌ بالمخاطر.

حيي بن أخطب :

أنسيت يا كعب ما فعله محمد مع إخواننا من بني قينقاع وقد طردهم دون ذنب ولا جريمة فعلوها.

كعب بن أسد :

أبدًا إنهم كشفوا عورة امرأة مسلمة وقتلوا رجلاً مسلمًا.

عزال بن ميمون :

إننا لم ننسَ ما فعله محمد وأصحابه بإخواننا بني النضير وشردوهم في البلاد وكانوا لهم سندًا وعونًا.

الزبير بن مطا :

تريدنا يا عزال أن ننقض العهد مع محمد.

عزال بن ميمون :

ولِمَ لا وإخواننا يهود بني النضير قد أحكموا الخطة للقضاء عليه ؟

كعب بن أسد :

أتدرون ما عاقبة ذلك ؟ والله إنه القتل.

حُيـــي بـــن أخطـــب :

لا تكـن جبانًـا يـا سـيد بـني قريظـة . وهـل فعـل محمـد معنـا شيئًـا إنـه قـد أرهبـه ما نحن عليه فلم يفعل شيئًا سوى إخراجنا من يثرب .

كعـــب بـــن أســـد :

قبـل أن أعطيـك كلمـة أنـنقض العهـد مـع محمـد أم لا . مـاذا سـتعطينا مـن ضمانات للعقود والعهود ؟

حُيـــي بـــن أخطـــب :

واللّه إن عـادت قـريش وحلفاؤهـا مـن الأحـزاب دون القضـاء علـى محمـد ومـن معه لسوف أدخل معك الحصن ويجري عليَّ ما يجري عليك ويحدث لنا ما يحدث.

كعـــب بـــن أســـد :

يا عزال بن ميمون ، أحضر لنا صحيفة العهد مع محمد .

عـــزال بـــن شمويـــل :

وَلِمَ يا كعب أتنقض العهد حقًّا ؟

كعـــب بـــن أســـد :

نعم سأقوم بتمزيقها ويحدث ما يحدث لقد وعدنا حيي أنه سوف يظل معنا .

حيـــي بـــن أخطـــب :

هيا بنا يا قوم ، سأذهب إلى أبي سفيان وأخبره بأنكم قد مزقتم العهد .

كعـــب بـــن أســـد :

إياك يا حييّ أن تنسى العهد الذي بيننا وبينك .

وانصرف حييٌّ إلى أبي سفيان والأحزاب ليبلغهم بهذه الخيانة .

المشهـــد الثانـــي

الخوف يستبد بالمسلمين

نقض يهود بني قريظة العهد مع رسول الله ﷺ ومزقت الصحيفة التي كتب فيها الميثاق والعهد وأرسل إليهم رسول الله ﷺ يستيقن الخبر ويبين موقفهم قالوا : من رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد . وحاول سعد بن معاذ أن يردهم عن ذلك فشتمهم وكانوا حلفاءه ، وأغلظ لهم القول سعد بن عبادة وكان فيه حدة وشاتموه وقال سعد بن معاذ لسعد بن عبادة : دع عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة ثم أقبل السعدان ومن معهما إلى رسول الله ﷺ وأخبروا رسول لله ﷺ بنقض العهد .

سعد بن معاذ :

والله يا رسول الله لقد نقضوا العهد نقض " عضل والقارة " أي عذر وغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع .

رسول الله ﷺ يقول :

الله أكبر ، أبشروا يا معشر المسلمين بنصرة الله تعالى وعونه .

عمر بن الخطاب " وقد أتى "

يا رسول الله ، بلغني أن بني قريظة قد نقضت العهد وحاربت .

رسول الله ﷺ :

تفتح بتوبة واضطجع ومكث طويلاً .

عمر بن الخطاب :

لقد اشتد بالناس البلاء والخوف يا رسول الله .

رسـول الله ﷺ " يرفـع رأسـه " ويقـول :

أبشروا بفتح الله ونصره .

الناس يجتمعون حول رسول الله ﷺ يلتمسون منه العون .

رسـول الله ﷺ يقـول :

حسبنا الله ونعم الوكيل .

مسلمـة بـن أسلـم :

هيـا بنـا يـا قـوم ، لقـد أمرنـي رسـول الله ﷺ أن آخـذ مـائتي رجـل ، وأذهـب إلى حراسة النساء والذراري خوفاً عليهم من بني قريظة .

زيـد بـن حارثـة :

وأنـا لقـد أمرنـي رسـول الله ﷺ أن آخـذ ثلثمائـة رجـل يحرسـون المدينـة ويظهرون التكبير لينقل الرعب في قلوب بني قريظة الذين خانوا عهدهم .

عبد الله بـن نبتل " ساخـراً " " وهـو منافـق " :

كـان محمـدٌ يعـدنا أن نأكـل كنـوز كسـرى وقيصـر وأحـدنا اليـوم لا يـأمن علـى نفسه أن يذهب إلى الغائط . ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورًا .

بـلال بـن ربـاح :

يـا رسـول الله لقـد أرسـلت إلى عُيينـة بـن حصـن الفـزاري وإلى الحـرث ابن عوف المري وقد حضرا الآن .

رسـول الله ﷺ يقـول :

أدخلـهما علـي يـا بـلال ، مـا رأيكمـا لـو أعطيتكمـا ثلـث ثمـار المدينـة علـى أن ترجعا بمن معكما عنا .

عيينـــة بـن حصـــن :

يـا رسـول الله لقـد جئنـا مسـتخفين مـن أبـي سـفيان بـن حـرب ولا نريـد أن نضيع الوقت أتعطينا نصف ثمار المدينة ولك ما تريد .

رســـول الله ﷺ يقـــول :

بـل الثلـث .

الحـــرث بـــن عـوف المـــرى :

رضينا يا محمد ، ولكن نكتب هذا العهد أولاً .

عثمـــان بـــن عفـــان :

أنا أكتب هذا العهد يا رسول الله .

رســـول الله ﷺ يقـــول :

اكتـب يـا عثمـان ، واذهـب يـا بـلال ، كـي تحضـر لنـا سـعد بـن معـاذ وسـعد ابن عبادة .كي نستشيرهما أولاً في هذا الأمر .

سعـــد بـــن معـاذ :

يـا رسـول الله أمـرًا تحبـه فتصـنعه ، أم شـيئًا أمـرك الله بـه ولابـدّ لنـا مـن العمـل به ، أم شيئًا تصفه لنا .

سعـــد بـــن عبـادة :

يـا رسـول الله إن كـان أمـرًا مـن السـماء فـامض لـه ، وإن كـان أمـرًا لم تـؤمر بـه ولك فيه هوى فسمع وطاعة وإن كان إنما هو الرأي فما لهم عندنا إلا السيف .

رســـول الله ﷺ يقـــول :

لو أمرني الله لما شاورتكما . والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر شوكتهم إلى أمر ما .

سعد بن معاذ :

يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منا ثمرة إلا قرى أو بيعا ، وإن كانوا ليأكلون العلهز " طعام من الدم والوبر كان يتخذ في المجاعة " في الجاهلية من الجهد ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام ، وهدانا له وأعزنا بك وبه نقطعهم أموالنا ؟ ما لنا بهذا من حاجة . والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم .

رسول الله ﷺ يقول :

فأنت وذاك . أما أنتما فارجعا بيننا وبينكم السيف .

بلال بن رباح :

يا رسول الله ، أما ترى ما بالناس من البلاء والكرب ؟

رسول الله ﷺ : يبشر الناس ويقول :

" والذي نفسي بيده ليخرجن عنكم ما ترون من الشدة وإني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمنا ، وأن يدفع الله إلى مفاتيح الكعبة ، وليهلكن الله كسرى وقيصر ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله ".

عباد بن بشر " يقف حرساً على قبة رسول الله ﷺ " :

يا رسول الله إن النساء والصبيان والذراري في الحصن يلوحن بالسيوف وقد أمرتهم يا رسول الله إذا جاءهم عدو أن يلمعن بالسيف واعتقد أن هناك أحدًا من الأعداء يريد أن يروعهن .

بلال بن رباح :

يا ظفر بن رافع ، اذهب إليهن مسرعًا حتى لا يروعهن أحد .

ظفـر بـن رافـع " وقد ذهب إلى هناك ثم رجع " :

الحمد لله لقد قتلته .

بـلال بـن ربـاح :

من الذي كان عند النساء والصبيان يا ظفر.

ظفـر بـن رافـع :

جـاءهن رجـل مـن بـني ثعلبـة بـن سـعد يقـال لـه نجـدان أحـد بـني جحـاش علـى فرس حتى دخل عليهم الحصن .

بـلال بـن ربـاح :

وماذا فعل هذا الرجل لعله روع الصبيان .

ظفـر بـن رافـع :

أبدًا إنه نادى لهن : انزلن إليَّ خير لكن .

فما كان منهم أن حركن السيف .

بـلال بـن ربـاح :

وماذا فعلت معه ؟

ظفـر بـن رافـع :

لقـد حـاول نجـدان أن يختبـئ أو يلـوذ بـالفرار ولكـني رأيتـه وناديتـه يـا نجـدان ابرز إليّ . فبرز إلي فحملت عليه فقتلته .

المشهد الثالث

الحرب خدعة

حدث عند الخندق مناوشات وكر وفر وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وقال المؤمنون " هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانًا - وتسليمًا .

وسار رسول الله ﷺ إلى قبته بعد أن ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديدًا وأمر بلالاً فأذن وأقام فصلى العصر ، ثم أمره فأذن وأقام فصلى المغرب ثم أمره فأذن وأقام فصلى العشاء .

وخرجت طائفة من الأنصار ليدفنوا ميتًا منهم بالمدينة فصادفوا عشرين بعيرًا محملة شعيرًا وتمرًا وتينًا حملها ذلك حُيي بن أخطب شدادًا وتقوية لقريش، فأتوا بها رسول الله ﷺ فتوسع بها أهل الخندق ولما بلغ أبا سفيان ذلك قال :

إن حيياً لمشئوم قطع بنا ، ما نجد ما نحمل عليه إذا رجعنا .

صار أبو سفيان بن حرب ورؤساء الأحزاب يرسلون الطلائع بالليل يطمعون في الغارة فأقام المسلمون في شدة من الخوف ودعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال :

" اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم وزلزلهم " .

أبو بكر الصديق :

هل من شيء نقوله يا رسول الله فقد بلغت القلوب الحناجر ؟

الرسـول ﷺ يقـول :

نعم ، قولوا : اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا .

بـلال بـن ربـاح :

يـا رسـول الله ، لقـد أتـي نعـيم بـن مسـعود الأشـجعي . مـن معسـكر الأحـزاب وترك قومه غطفان وهو على الباب .

رسـول الله ﷺ يقـول :

دعه يدخل يا بلال .

نُعيـم بـن مسعـود الأشجعـي :

السـلام علـيكم يـا رسـول الله لقـد أسـلمت يـا رسـول الله وأضـاء الله صـدري بـأنوار اليقين وقـذف في قلـبي الإيمـان والتصـديق لمـا فكـرت في ذلـك الـدين الـذي جعـل أهله يتمنون لقاء أعدائهم وهم مستبشرون .

رسـول الله ﷺ يقـول :

ما جاء بك يا نُعيم ؟

نُعيـم بـن مسعـود الأشجعـي :

جئـت أصـدقك وأشـهد أن مـا جئـت بـه حـق . وصـمت نعـيم قلـيلاً : يـا رسـول الله ، إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت.

رسـول الله ﷺ يقـول :

إنما أنت فينا رجل واحد ،فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة.

فخـرج نعـيم بـن مسـعود حتـى آتـى بـني قريظـة وكـان لهـم نـديمًا في الجاهليـة فقـال :

يا بني قريظة قد عرفتم ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم .

كعب بن أسد القرظي :

صدقت ، لست عندنا عنهم .

نعيم بن مسعود :

إن قريشًا وغطفان ليسوا كأنتم . البلد بلدكم به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تجلوا منه إلى غيره . وإن قريشًا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كأنتم ، فإن رأوا فرصة أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنًا من أشرافهم ليكونوا بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدًا حتى تناجزوه.

كعب بن أسد القرظي :

لقد أشرت علينا بالرأي . وحقًّا ما تقول . والله ما نقاتل معهم حتى يبعثوا إلينا بالرهن .

ثم خرج نعيم بن مسعود حتى أتى قريشًا **فقال لأبي سفيان ومن معه:**

قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمدًا ، وإنه قد بلغني أمر قد رأيت منه عليَّ حقًّا أن أبلغكموه نصحًا لكم فاكتموا عني .

أبو سفيان :

نفعل ونكتم عنك ، فما الأمر ؟

نعيم بن مسعود :

اعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه وقالوا له :

إنا قد ندمنا على ما فعلناه فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين قريش وغطفان . رجالاً من أشرافهم ونعطيكهم فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقى منهم حتى تستأصلهم ، فأرسل إليهم محمد يقرهم على ذلك .

أبو سفيان :

وماذا ترى يا نعيم أن نفعل .

نُعيم بن مسعود :

فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنًا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحدًا .

ثم خرج نعيم حتى أتى غطفان **فقال** :

يا معشر غطفان إنكم أهلي وعشيرتي وأحب الناس إلى ولا أراكم تتهموني .

عتبة بن حصين :

صدقت يا نعيم ما أنت عندنا بمتهم .

نعيم بن مسعود :

فاكتموا عني .

عيينة بن حصين :

نفعل ذلك .

نعيم بن مسعود :

اعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه بذلك وسوف يأخذون منكم رجالاً ويعطونهم لمحمد فلا تعطوهم أحدًا.

عيينة بن حصين :

فليقم معي رجال غطفان حتى نذهب إلى أبي سفيان .

أبـو سفيان بـن حـرب :

ليقم عكرمة بن أبي جهل ومعه نفر من قريش وغطفان ويذهبوا إلى بني قريظة .

عكرمـة بـن أبـي جهـل : وماذا تقول لهم .

أبـو سفيـان :

قولـوا لهـم إنـا لسـنا بـدار مقـام قـد هلـك الخـف والحـافر فاغـدوا للقتـال حتـى نقضي على محمد ونفرغ فيما بيننا وبينه .

وذهب عكرمة بن أبي جهل ومن معه وأخبروهم بذلك **فقال لهم :**

كعـب بـن أسـد :

إن اليـوم يـوم السبت وهـو يـوم لا نعمـل فيـه شيئًا وقـد كـان بعضـنا قـد أحـدث فيه حدثًا فأصابه ما لم يخف عليكم .

عكرمـة بن أبـي جهـل :

نعم نعلم ، وقد مسخهم قردة وخنازير .

كعـب بـن أسـد :

إنـا لـن نخـرج معكـم حتـى تعطونـا رهنًـا مـن رجـالكم يكونـون بأيـدينا ثقـة لنـا حتى نقاتل محمدًا . فإنا نخشى أن تتركونا لمحمد فيقتلنا .

وعاد عكرمة بن أبي جهل وأخبر قريشًا وغطفان بما حدث من اليهود.

أبـو سفيـان :

واللّه الـذي حـدثكم نعـيم بـن مسـعود لحـق . وليـذهب بعـض الرجـال ويقـول لهـم : إنـا واللّه لا نـدفع إلـيكم رجـلاً واحـدًا مـن رجالنـا فـإن كنـتم تريـدون القتـال فـاخرجوا قـاتلوا وقالـت بنـو قريظـة إن الـذي قالـه نعـيم لحـق إنـا واللّه لا نقاتـل معهـم حتى يعطونا رهنًا .

فأبوا عليهم **وقال أبو سفيان .**

ألا أراني أستعين بإخوة القردة والخنازير .

المشهـــد الرابـــع

ريـــح الصفـا جنـــد الله

وهكـذا أفلـح المسلمون في ضـرب عـرى التحـالف بـين الأحـزاب المجتمعـة علـيهم ووقـع الاخـتلاف والخـذلان بـين الأحـزاب .. وبعـث الله تعـالى ريـح الصـبا في ليـال شـديدة الـبرد فنقلـت خيـامهم وقطعـت حبالهـا ، وكفـأت قـدورهم علـى أفواههـا ، وصارت تلقي الرجال على أمتعتهم ، وأطفأت نيرانهم ..

فمـا مضـت أسـابيع ثلاثـة علـى ذلـك الحصـار وأراح الله المسـلمين مـن هـذا العدو الذي كان يريد أن يقضي عليهم ..

وفي ذلك يقول الله تعالى :

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠ ﴾ [1]

كانـت تلـك الليلـة شـديدة الـبرد والـريح في أصـوات ريحهـا أمثـال الصـواعق شديدة الظلمة فجعل المنافقون يستأذنون ويقولون :

"إن بيوتنـا عـورة ومـا هـي بعـورة .. ويقولـون بـأن بيوتنـا حيطانهـا قصـيرة يخشى عليها السرقة فأذن لنا أن نرجع إلى نسائنا وأبنائنا وذرارينا .

فيأذن لهم الرسول ﷺ ، ولم يبق معه ﷺ تلك الليلة إلا ثلاثمائة رجل فقط .

---

١ - سورة الأحزاب من الآيات ٨: ١٠

وعلم رسول الله ﷺ باختلاف كلمة الأحزاب فقال :

ألا رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع ؟

أسأل الله أن يكون معي يوم القيامة .

فما قام أحد من شدة الخوف والجوع والبرد .

رسـول الله ﷺ يكـرر قولـه :

ألا رجل يأتيني بخبر القوم يكون معي يوم القيامة ؟

فلم يجبه أحد.

أبـو بكـر الصديـق :

يا رسول الله ليس بيننا من يستطيع أن يقوم بهذه المهمة غير حذيفة بن اليمان .

فمـر رسـول الله ﷺ علـى حذيفـة بـن اليمـان ومـا يحميـه مـن العـدو والـبرد إلا مرط لامرأته "

ما يجاوز ركبتيه . وهو جاث على ركبتيه **فقال**ﷺ : من هذا ؟

حذيفـة بـن اليمـان :

أنا يا رسول الله حذيفة .

رسـول الله ﷺ :

حذيفـة ؟

حذيفـة بـن اليمـان وهـو يتقاصر بـالأرض :

بلى يا رسول الله ، ماذا تريد ؟

رسـول الله ﷺ يقـول :

أما سمعت صوتي يا حذيفة ؟

حذيفــة بــن اليمــان :

نعم يا رسول الله .

رســول الله ﷺ :

فما منعك أن تجيبني ؟

حذيفــة بــن اليمــان :

البرد يا رسول الله .

رســول الله ﷺ يقــول :

لا برد عليك حتى ترجع ، قم .

فقــام حذيفــة .

رســول الله ﷺ يقــول :

إنه كائن في القوم خبر فأتني بخبر القوم .

حذيفــة بــن اليمــان :

والله ما بي أن أقتل ولكن أخشى أن أؤسر .

رســول الله ﷺ :

إنك لن تؤسر ، اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته .

فلمــا ولــى نــاداه رســول الله ﷺ فقــال لــه :

لا ترم بسهم ولا حجر ولا تضرب بسيف حتى تأتيني .

فــانطلق حذيفــة والــريح تصــفر مــن شــدتها وتقطــع حبــال الخيــام وتلقــي القــدور حتى جاء إليهم ودخل بينهم

يقــول حذيفــة :

فرأيــت رجــلاً ضــخمًا يمــد يديــه إلى النــار، مستدفئــًا ويمســح وجهــه ويقــول: الرحيل الرحيل ، ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك .

فوضــعت ســهماً في كبــد قــوس وأردت أن أرميــه . ثــم ذكــرت وصــية رســول الله ﷺ فأمسكت ولو رميته لأصبته .

أبــو سفيــان بــن حــرب :

يا معشر قريش ليتعرف كل أمرئ منكم جليسه واحذروا الجواسيس والعيون .

حذيفــة بــن اليمــان :

" وقد خشي أن يعرفه أحد فأمسك من بجواره وقال من أنت" ؟

معاويــة بــن أبــي سفيــان .

أنا معاوية بن أبي سفيان .

حذيفــة بــن اليمــان " أمسك بيــد مــن علــى يساره وقــال :

مــن أنــت ؟

عمــرو بــن العــاص :

أنا عمرو بن العاص .

أبــو سفيــان بــن حــرب :

يــا معشــر قــريش والله إنكــم لســتم بــدار مقــام ولقــد هلــك الكــراع والخــف ، واختلفتنــا بنــو قريظــة وبلغنــا عــنهم الــذي نكــره ولقينــا مــن هــذه الــريح مــا تــرون ؟ فارتحلوا فإني مرتحل .

عكرمــة بــن أبــي جهــل :

يا أبا سفيان ، إنك رأس القوم وقائدهم ، فكيف تذهب وتترك الناس ؟

أبــو سفيــان :

استحي وأنا في جملي وأخذ بزمامه وأقدر هيا : ارحلوا .

فجعل الناس يرحلون وهو قائم .

فقــال لعمــرو بــن العــاص :

يــا أبــا عبــد الله نقيم في جريــدة مــن الخيــل بــإزاء محمــد وأصــحابه فإنــا لا نــأمن أن نطلب .

عمــرو بــن العــاص :

أنا أقيم يا أبا سفيان .

أبــو سفيــان " يقول لخالــد بــن الوليــد " :

ما ترى يا بن الوليد ؟

خالــد بــن الوليــد :

أنا أيضًا أقيم .

ولكــن الــريح اشــتدت فقــال القــوم الرحيــل الرحيــل فرحلــوا وعــاد حذيفــة بعــد أن اطمــأن إلى أن الأحــزاب قــد شــدوا الرحــال للرحيــل فعــاد إلى رســول الله ﷺ فوجــده قائمًا يصلي .

فقــال حذيفــة :

أبشر يا رسول الله لقد ارتحلوا .

رســول الله ﷺ :

وهــو يضــحك وينظــر إلى الأحــزاب وهــم يرتحلــون ويقــول : الآن نغــزوهم ولا يغزونا ، نحن نسير إليهم .